جـامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المستوى: السنة الثانية ماستر. **السنة الجامعية: 2023/2022**
التخصص: لسانيات عامة. **السداسي الأول.**
مادة: الأسلوبية. **أستاذ المادة: أ. د. محمد بن يحي.**

المحاضرة الأولى
الأسلوبية: المصطلح والمفهوم، والموضوع، والهدف.

من المسلّم به أن أي علم لا يكتسب شرعيّته إلا بعد أن يقدّم نفسه، ويحدّد موضوعه تحديدا مفهوميا، ومن المعروف أن تحديد موضوع العلم غير تحديد ماهية العلم[1]. ونحن في هذا المحاضرة سنسعى إلى تحديد "الأسلوبية" بكونها علما وصفيا، كما أرادها مؤسسها "شارل بالي".

1. الأسلوبية (la stylistique) لغة واصطلاحا: إننا في هذة المحاضرة لا نسعى إلى عرض تاريخ الأسلوبية؛ فذاك ليس غايتنا، وإنما نهدف إلى رصد أهمِّ تعريفاتها، وتحديد موضوعها وميدانها، واتجاهاتها، مع التأكيد على أهمية وأهداف الدراسة الأسلوبية، وضبط منهجيّة التحليل وآلياته.

إن مصطلح "أسلوبية" «دال مركب من جذره ((أسلوب)) style ولاحقته((يّة)) ((ique))»[2]. وترجع كلمة (style) إلى الكلمة اللاتينية (stilus). وهو «مِثْقبٌ معدني يُستَعمل في الكتابة على الصفائح المطلية بالشمع»[3]. «وتظهر صورتها المصغّرةُ في الكلمة الإيطالية (stiletto)»[4]. وواضح أن كلمة (stylo) الفرنسيةَ لا تخرج عن هذا المعنى. «وقد انتقلت كلمة (style) من معناها الأصلي الخاص بالكتابة واستُخدمت في فنّ المِعمار وفي نحْت التماثيل، ثم عادت مرة أخرى إلى مجال الدراسة الأدبية»[5].

---

[1]- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1986، ص23.

[2]- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب (نحو بديل ألسني في نقد الأدب)، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1977، ص39.

3- Dictionnaire HACHETTE, Édition, paris 2009, p1542.

[4]- ستيفن أولمان، دور الكلمة، تر: كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ط12، (د ت)، ص191.

[5]- فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004، ص39.

أما **اصطلاحا**، فقد نصّ معجم "HACHETTE" الفرنسي على أن الأسلوبية هي «دراسة الأسلوب في ظواهره التركيبية، والمعجمية، والبلاغية...»[1].

وقد كان "فون درجا بلنتش" أول من أطلق هذا المصطلح سنة 1875 «على دراسة الأسلوب عبر الانزياحات اللغوية والبلاغية في الكتابة الأدبية»[2].

أما عن انتشار هذا المصطلح في الدراسات الأسلوبية العربية، فقد كان لعبد السلام المسَدّي السّبقُ في نقله وترجمته. وهو يستعمل مصطلحَ "علم الأسلوب" كذلك مرادفا للأسلوبية[3].

أما الباحث العربيّ "سعد مصلوح"، فيؤْثِر مصطلحَ "الأسلوبيّات"، «ويعلل ذلك بأنه أَخْصَرُ [من مصطلح علم الأسلوب] وأطوعُ في التصريف، كما أنه جاء في سُنّة السّلف في سَكّ المصطلحات الشبيهة بالرياضيات والطبيعيات، ولأنه يتسق بهذا المبنى مع مصطلح اللسانيات والصوتيات»[4]، إلا أننا نجد أن مصطلح "الأسلوبية" هو الذي طغى استعمالُه وجرى على الألسنة، أما مصطلح "أسلوبيات"، فقد استُعمل - غالبا- للدلالة على الاتجاهات الأسلوبية.

2. **موضوع الأسلوبية**: تستند الأسلوبية في منطلقاتها إلى اللسانيات، وهي تتخذ من الوجه الثاني من ثنائية "دي سوسير Ferdinand de Saussure 1857-1913" (اللغة / الكلامlangue/ parole) قاعدةَ انطلاق. حيث يقول: «وتشمل دراسة اللسان جزأين: واحدٌ مهمٌّ، وموضوعه اللغة التي هي اجتماعية في ماهيتها ومستقلةٌ عن الفرد. وهذه الدراسة هي نفسية، وحسب. والآخر ثانوي، وموضوعه الجزء الفردي من اللسان، ونعني به الكلام بما فيه التصويت. وهذه الدراسة هي نفسيّة فيزيائية»[5].

ولئن كان "سوسير" قد حصر موضوع اللسانيات في دراسة الوجه الأول من الثنائية (اللغة)، فإن تلميذه "شارل بالي Charles bally 1865-1947" قد تلقّف الوجه الثاني منها (الكلام)؛ فكان بذلك مؤسّسَ الأسلوبية. «فمنذ سنة 1902 كدنا نجزم مع ش. بالي Charles bally أن علم الأسلوب قد تأسست قواعدُه النهائيةُ مثلما أرسى أستاذُه ف. دي سوسير F. De Saussure أصول الألسنية الحديثة»[6].

1- Dictionnaire Hachette, p1542.

2- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث (الأسلوبية والأسلوب)، دار هومة، الجزائر، (د ط)، 1997، ج1، ص13.

3- المرجع نفسه، ج1، ص13-14.

4- المرجع نفسه، ج1، ص14.

5- Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale, éditions Talantikit, Bejaia, Algérie, 2002, p 30.

6- المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص16.

وإذا كان "سوسير" قد قسم اللّسان إلى: لغة وكلام، فإن ثاني هذين القسمين (الكلام) يشتمل على مستويين من الاستخدام، أولهما: الاستخدام العادي أو "النفعي"، وثانيهما: الاستخدام الأدبي أو "الفني". وذلك يعني أنه في داخل الثنائية التي أوردها "دي سوسير" توجد ثنائيةٌ أخرى متفرّعةٌ عنها[1]:

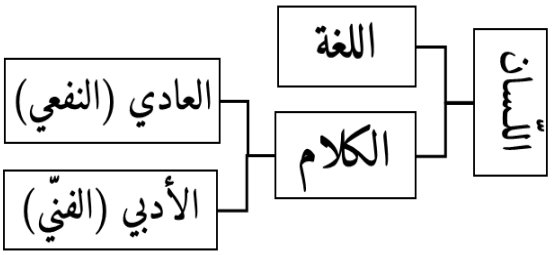

وقد دعا "ميشال ريفاتير Michael Riffaterre" إلى دراسة الظاهرة الأسلوبية اعتمادا على المناهج اللسانية، حيث يقول: «بسبب صلة القرابة بين اللغة والأسلوب، يمكننا أن نأمل في استعمال المناهج اللسانية لوصف الاستعمال الأدبي للسان وصفا موضوعيا مضبوطا»[2]. وهو يرى بأن الظاهرة الأسلوبية لا يمكن فهمها إلا انطلاقا من اللسان؛ لأنه هو الذي يسيّرها[3].

«ويعتمد المنظّرون للأسلوب على البنية اللغوية للنص انطلاقا من التفرقة بين نوعي الخطاب؛ بغيةَ دراسةِ العملِ الأدبيّ وبيان العلاقات بين وحداته المختلفة: النحوية، والصرفية، والمعجمية التي تتشكل منها البنيةُ العامةُ للشكل الأدبي، ولذلك فالدراسة الأسلوبية تنصَبُّ على النص بوصفه وحدةً واحدة»[4].

وقد عُرِّفت الأسلوبية بتعريفات عدّة، يقترب بعضها، وتباين بعضها الآخر؛ وذلك انطلاقا من الزاوية التي ينطلق منها كلُّ دارس للأسلوب. وإذا ما نحن حاصرنا تلك التعريفات، وجدناها لا تخرج عن كونها تعتمد أحدَ عناصرِ الخطاب الثلاثة: المُرسِل (المنشئ)، أو الرسالة (الخطاب/النص)، أو المرسَل إليه (المتلقي/القارئ).

وقد انطلق "شارل بالي" من أن الخطاب نوعان: «ما هو حاملٌ لذاته غيرُ مشحون ألبتّة، وما هو حاملٌ للعواطف والخلجات وكلِّ الانفعالات»[5]. ولم يقصر بالي الدراسةَ الأسلوبيةَ على الأسلوب الأدبي، وإنما عمّمها على كلّ كلام مشحون بالعواطف؛ فعُرِفت أسلوبيته بـ "الأسلوبية التعبيرية". وهي عنده «تأتي

---

[1]- ينظر: فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ص16-17.

2- Alain Hardy, Théorie et méthode stylistiques de M. Riffaterre, In, Langue française, N°3, 1969, p90.

3- Ibid. P 91.

[4]- فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ص17-18.

[5]- المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص36.

لتتبُّع بصْماتِ الشّحن في الخطاب عامة»[1]؛ ولذلك وصفها "تزيفيتان تودوروف Tzvetan Todorov" بأنها «قد اهتمت بالأحرى بتأويل العبارة وبالتعبير، وليس بتنظيم العبارة نفسها»[2].

وعُرِّفت الأسلوبيةُ أيضا بأنها «علمٌ وصفيٌّ يُعنى ببحث الخصائصِ والسماتِ التي تميّز النص الأدبيَّ بطريق التحليل الموضوعي للأثر الأدبي الذي تتمحور حوله الدراسة الأسلوبية»[3].

ويعرّفها "بيار جيرو Pierre Guiraud" بقوله: «إن أسلوبيتنا دراسة للمتغيّرات اللسانية إزاء المعيار القاعدي، وهذا يتطابق مع التقليد القديم الذي يضع البلاغة في مواجهة القواعد. والقواعد في هذا المنظور، هي مجموعة القوانين، أي مجموعة الالتزامات التي يفرضها النظام والمعيار على مستعمل اللغة. فالأسلوبية تحدّد نوع الحرّيات في داخل هذا النظام»[4].

وواضحٌ من قوله هذا أن "الأسلوبيّة" تختصّ بالجزء الفردي من اللسان، أي بالكلام، فهي إذاً **لا تهتم بالنظام اللغوي الذي هو موضوع اللسانيات، وإنّما تُعنى بالنشاط الفردي لمستعمل اللغة.**

وقد عدّ "برونو Ch. Bruneau" الأسلوبيّة «علما خاصا بالانزياحات[5] La Science des écarts»[6].

ويرى "رومان جاكوبسون Roman Jakobson" بأن الأسلوبية جزء مكمّل للسانيات[7]. وقد عرّفها -من منطلق البحث عن الشعرية في النص الأدبي- بأنها: «تُعنى بما يتميّز به الكلام الفني عن سائر الفنون، وبقية مستويات الخطاب»[8]. وهو يبوّئها الصّدارة بين الدّراسات الأدبية[9]. ومعلوم أن «"جاكوبسون" لم يستخدم قط كلمة أسلوبية، وقلّما استخدم كلمة أسلوب؛ لأنه يبدلها بأخرى، هي الوظيفة الشعرية»[10].

أما "ميشال ريفاتير Michael Riffaterre"، فقد ركّز على المتلقي، ومن ثمّ كانت نظرته إلى هذا العلم تصبّ في اتجاه المرسَل إليه، فهو يرى «بأنها علم يهدف إلى الكشف عن العناصر المميِّزة التي بها يستطيع

---

[1]- المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص37.

[2]- مجموعة من المؤلفين، العلاماتية وعلم النص، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004، ص109.

[3]- فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ص35.

[4]- جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ص08.

[5]- استعمل المترجم مصطلح "الشواذات" في مقابل"écarts".

[6]- فيلي ساندرس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، تر: خالد محمود جمعة، دار الفكر، دمشق، ط1، 2003، ص36.

7- Roman Jakobson, Essais de linguistique générale, 1, Les fonctions du langage, tr Nicolas Ruwet, Les Éditions de Minuit, Paris, 2007, p 210.

[8]- Roman Jakobson, Essais de linguistique générale, 1, Les fonctions du langage, p210.

[9]- Ibid. p210.

[10]- جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ص79.

المؤلِّف الباثّ مراقبة حريّة الإدراك لدى القارئ المتقبِّل ... فينتهي إلى اعتبار الأسلوبيّة "ألسنية" تُعنى بظاهرة حمل الذهن على فهم معيّن وإدراك مخصوص»[1].

ومهما تعددت تعريفاتُ الأسلوبيةِ، فإنّها تتفق في نقطتين مهمتين:

أ) موضوعها دراسةُ الوجهِ الثاني من ثنائية "سوسير"، أي (الكلام).

ب) تتخذ من اللغة مدخلا لها في دراسة النص الأدبي؛ إذ «تتفق كل الاتجاهات الأسلوبية على أن المدخل في أية دراسة أسلوبية ينبغي أن يكون لغويا، فالأسلوبية تعني دراسةَ الخطابِ الأدبيّ من منطلق لغوي»[2]. ويؤكّد "ريمون طحان" على أهمية المدخل اللغوي في الدراسة الأسلوبية بقوله: «فالشكل موضوعٌ مهمٌّ في الدراسات البنيانية الحديثة، وما الأدب إلا عناصرُ تتضافر لتخلق الجمال، وما اللغة إلاّ الظاهرةُ الشكليةُ الوحيدةُ التي نُتيح لنا أن نتعرّف على الأدب الذي لا يتحقّق إلاّ بها وفيها»[3].

ويرى "جورج مولينيه Georges Molinié" الرأي ذاته، حيث يقول موجّها الدراسات الأسلوبية: «ومن الحكمة أن لا نتعلق في البداية بدراسة المحتوى، أو المواضيع أو الأيديولوجية، فهذا ليس هدفَ الأسلوبية. يجب إذن أن نبقى بقوة في وسط الأشكال، والمكوّنات اللغويّة والكلامية الإيحائية: تلك هي المادة التي يجب دراستها»[4].

وإذا كانت اللغةُ تحتلّ تلك المكانةَ في الدراسات الأسلوبيّة، فهل من حدود تقف عندها تلك الدراسات في دراسة لغة النص؟

إنها تدرس كل ما يتعلّق بلغة النص من أصواتٍ، وصيغٍ، وتراكيبَ، وكلمات، فتستفيد من علم الأصوات، وعلم الصرف، وعلم التراكيب، وعلم الدلالة، وعلوم البلاغة، وعلمي العروض والقافية؛ في الكشف عن سمات الأسلوب وخصائصه. وذلك لا يعني أن الأسلوبية قد أصبحت عِلما يحوي كلَّ تلك العلوم، كلاّ بل إنها تستفيد من تلك العلوم اللغوية في تحليل النص الأدبي، وإبراز سماته وخصائصه الأسلوبية، أمّا التقييم والتقويم، فهما من مهام النقد الأدبي[5].

---

[1]- المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص45.

[2]- فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ص44.

[3]- ريمون طحان، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981، ج2، ص116.

[4]- مولينيه، الأسلوبية، ص163.

[5]- يُنظر: فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ص36 وما بعدها. وينظر: محمد بلوحي، الأسلوب بين التراث العربي والأسلوبية الحديثة، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع: 95، السنة، 24، أيلول 2004، ص62.

3. هدف الأسلوبية: سبق أن أقررنا بأنه ليس من شأن الأسلوبية إصدار الأحكام التقييميّة، فتلك مهمة النقد الأدبي، وأن مهمتها لا تتعدى الملاحظة[1]، أي الوقوف على العناصر اللغوية التي تِسم النص بالأدبية، فتجعل منه خطابا أدبيا متميّزا عن الخطابات الأخرى أولا، ومتفرّدا عن الخطابات التي من جنسه ثانيا. يقول "جورج مولينيه" في معرض حديثه عن موضوع الأسلوبية: «إنه دراسة الأدبية في مكوّناتها الكلامية والشكلية. هذا التعريف العملي الذي هو في الواقع استكشاف منهجي وموضوعي، يحدّد مادّتين اثنتين: المادة الأولى هي بالتحديد موضوع هذه الممارسة العملية (الأسلوبية أولا تطبيق عمليّ praxis): إنه الأدب ... أما المادة الثانية في هذا التعريف المطروح، فإنها ترتبط بوسائل البحث المستعملة: إنها تقتضي العمل حصرا على دراسة التحديدات اللغوية للأدبية دراسةً منظّمةً و"في جميع الاتجاهات". بكلمة أخرى، نحاول أن نفكك الأدوات والتّجاذبات التي تعمل الوظيفة الشعرية من خلالها في النص موضوع الدّراسة»[2].

ومما سبق يظهر لنا أن هدف الأسلوبية نفعي في الدّرجة الأولى، ففي الواقع إن «المقاربة الأسلوبية هي مقاربةُ الأدبية مقاربةً براغماتية»[3]، أي إن غايتها نفعية؛ تتمثل في السعي إلى استكشاف خصائص النص الأدبي، ومميّزاته الفنية؛ بهدف بلوغ أدبية النص، وجمالياته التي يسعى قارئ الأدب إلى تذوّقها[4].

3. 1. الخاصّة (السِّمة) الأسلوبية: إذا كان هدف الأسلوبية ينحصر في تحديد الخصائص والسّمات الأسلوبية التي تجعل النص موسوما بالأدبية، فإن السؤال الذي يطرح نفسه: ما الخاصّة أو السمة الأسلوبية؟

وللإجابة عن هذا السؤال نرى أنه من الضروري التذكير بسؤال "جاكوبسون": «ما الذي يجعل من رسالة كلاميّةٍ عملا فنيا؟»[5].

لا شك أن تلك الرسالة الكلاميةَ (النص/الخطاب) قد توافرت فيها مجموعةٌ من العناصر اللغوية جعلتها عملا فنيّا، وهذه العناصر اللغويةُ تقوم بوظيفة أسلوبيّة؛ فتخلَع على النص حُلّةَ الأدبية. «فالسّمة المميّزةُ تحوُّلٌ أسلوبيٌّ فرديٌّ، وطريقةٌ في الأداء فيها خروجٌ عن الاستعمال المألوف، وعدولٌ عن القواعد المطّردة»[6]،

1- Alain Hardy, Théorie et méthode stylistiques de M. Riffaterre, In, Langue française, N° 3, 1969, p94.

[2]- مولينيه، الأسلوبية، ص33-34.

[3]- المرجع نفسه، ص132.

[4]- ينظر: محمد الأمين شيخة، جسور النقد الأدبي - إلى بناء الوعي الجمالي (رؤية شمولية لمناهج النقد الأدبي، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي، الجزائر، ط1، 2022، ص64.

5- R. Jakobson, Essais de linguistique générale, 1, Les fonctions du langage, p 210.

[6]- المسدي، النقد والحداثة، ص48.

وبذلك يصبح الخطاب الأدبيّ -على حدّ وصف مولينيه- موسوما «بالشعور بالأدبيّة، بتقدير الأدبية. وهذا الوسْم نتيجةٌ للالتقاء بين عدد من الوقائع اللغوية وبين تلقّيها»[1].

ويُمكننا وصْفُ وحدةٍ لغويّةٍ بأنها موسومة (Marquée) «إذا امتلكت خاصّةً فونولوجيةً أو صرفيّةً، أو سياقية، أو دلاليّةً تعارضَها مع وحداتٍ من الطبيعة نفسِها في اللغة ذاتها»[2].

ولعلّ أهمّ ما ينبغي التّنبّهُ إليه، هو أن الوحدة اللغويةَ مفردةً لا تَسِمُ أيَّ أسلوبٍ مهما كان؛ ولذلك لا بدّ من الربط بين مجموعة من الوقائع اللغوية، وهو ما يطلق عليه "مولينيه" (رزمة، أو حزمة أسلوبية) التي هي بمثابة «اتحاد عدد من السّمات اللغويةِ المتلائمةِ التي تتناسب فوق ذلك مع موضوع معيّن»[3]. ويُسمّي "مولينيه" أصغرَ وحدةٍ أسلوبية (استيلام Stylème). وقد يكون مورفيما مستقلا، أو مورفيما لاصقا أو متحرّكا، أو فئةً مفرداتيّةً ذاتَ قيمةٍ خاصة، أو نظاما نحويا أو علاقةً بلاغية ... ولا تكون الوحدة اللغوية (استيلاما) إلا إذا قامت بدور واسمِ الأدبية[4]. فالسّمةُ الأسلوبيّةُ في النص «لم تعد محصورةً في بعض أجزائه دون الأخرى، ولا فيما يتولّد عن بعضها من صورة أو انزياحات، وإنما هي ثمرةٌ لكلِّ بناءِ النصّ حتى ولو تجلّت ظاهريا في شكلِ مقطَعٍ محدّدٍ منه»[5].

وأخيرا يمكننا القول إن الخصائص أو السّماتِ الأسلوبية: هي مجموع الظواهر (الصوتية، والصرفية، والمعجمية، والتركيبية، والبلاغية، والدلالية) التي تجعل نصًّا أدبيًّا نصّا متميّزا في بابه، متفرّدا بين أقرانه. وهي ضالة المحلل الأسلوبي، وعليه أن يطلبها حيث وجدها.

---

[1]- مولينيه، الأسلوبيّة، ص167-168.

[2]- فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون (دراسة ونصوص) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1993، ص44.

[3]- مولينيه، الأسلوبية، ص179.

[4]- المرجع نفسه، ص188.

[5]- المسدي، النقد والحداثة، ص38.